﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾ [الإسراء: 87]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا علَّقَ ذهابَ ما يوحيهِ تعالى بفعلِ المشيئةِ، وأنَّهُ تعالى لا يتعاظمهُ شيءٌ منْ ذلكَ؛ أعقبه ببيان أنَّه استثناهُ برحمة مِنْ ربِّكَ المحسنِ إليكَ الَّذي لا ينقطعُ إحسانهُ[1].

الـرّبـط بين السّؤال عن سرّ الـرّوح، وكـون رحمة الله سببًا في بقاء الوحي وتنزّله

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعدَ أنْ أخبرَ الحقُّ سبحانَهُ رسولَهُ ﷺ بأنَّهُ قادرٌ إن شاءَ على أنْ يُذهبَ ما أوحى إليهِ من القلوبِ والكتبِ؛ بيَّن أنَّه "أثبتَ ذلكَ في قلبكَ وقلوبِ المؤمنين"[2]، برحمة منه وفضل كبير.

المانعُ منْ محوِ الـوحـي من الـقـلـوبِ؛ هو التّفضُّلُ برحمة علّام الغيوب

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستثناءِ بين الانقطاع والاتِّصال:

قولهُ تعالى: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾ الاستثناء هنا فيه منقطع، وليس من جنس نفي النّصير عند مراد الذّهاب بالوحي، وكأنَّ المعنى: ولئن شئنا؛ لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك، لا يمنعنا مانع، ولاينصرك نصير، لكنَّ رحمتي المُتفضِّل بها عليك سبب بقائه. "فالرَّحمةُ ليستْ منْ جنسِ نفيهِ أنْ يكونَ لهُ ناصرٌ ومعينٌ؛ فالاستثناءُ هنا منقطعٌ[3] وموجز المعنى: ولكنَّ رحمةً من ربِّك تركَتْه غيرَ مذهوب به.

إظهارُ الامتنان برحمته تعالى وفضله، مفيدٌ في البيان

وعلى كونه متّصلًا يكون المعنى: ولوْ شاءَ اللّهُ؛ لذهبَ بالقرآنِ محوًا من المصاحفِ والصُّدورِ، فلا يبقى لهُ أثرٌ، وتبقى أنتَ لا تعلمُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 507.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 51.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/ 482، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 201 - 202.

ما الكتابُ؟ ثمَّ لا تجدُ لكَ وكيلًا بأنْ يعيدهُ إليكَ محفوظًا، إلّا رحمةً من اللهِ تعالى، فكأنَّ رحمتَهُ تتوكَّلُ عليهِ بالرَّدِّ[1]؛ فيكونُ ذلكَ منْ بابِ الاستثناءِ المتَّصلِ[2]، فالرَّحمةُ منْ جنسِ الوكيلِ، وهو القائمُ بالأمرِ انتصارًا أو مخاصمةً، والغرضُ من الاستثناءِ إظهارُ الامتنانِ برحمتهِ تعالى وفضلهِ، بألّا يصيبهُ ما يصيبهُ منْ أنْ يذهبَ بالوحي والقرآنِ، فإنَّه باقٍ محفوظٌ، وفيهِ أيضًا تعريضٌ بأهلِ العلمِ، وتحذيرٌ لهم[3] في أنَّ العلمَ خاضعٌ لمشيئتهِ سبحانه فلا يغترَّ بتحصيلِ العلمِ إنسانٌ.

الغرض من الحذف قبل جملة ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾:

حفظ الوحي والإنزال، كان برحمة الله ذي الجلال

قبل قولهِ تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، إضمار محذوف؛ فإنَّ استثناءَ الرَّحمةِ ممّا سبقَ على تقديرِ "وإنَّما أنزلناهُ عليكَ رحمةً من ربِّكَ"[4]، وفي الحذف إيجاز واختصار تعويلًا على ما سبق، وليتّجه النَّظم الكريم لإثبات الامتنان بالرّحمة والعناية به.

الغرض من تنكيرِ ﴿رَحْمَةً﴾ في السّياق:

رحمة الله جلّ في علاه، لا يُدرِكُ كنهَها سواه

في قولهِ تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أوردَ رحمتهُ ﷻ بصيغةِ التَّنكيرِ لأجلِ التَّعظيمِ والتَّفخيمِ، فرحمتهُ تعالى عظيمةٌ[5]، وحسبُك مِن عظمةٍ منعُها ذهابَ الوحي! فبقاؤه رحمة كبرى ونعمة جُلّى.

معنى حرف الجرّ ﴿مِّن﴾ ودلالته:

ابتداءُ الرّحمة من الله تعظيمٌ لقدرها، وانتهاؤها إلى العبد إشعارٌ بأثرها

استعملَ حرفَ الجرِّ ﴿مِّن﴾، الدّالَّ على ابتداءِ الغايةِ[6]؛ تعظيمًا لقدرها؛ فعظمة الشّيء بعظمة مقدار مَن كان منه مبتداها، وتعظيمًا لأثرها على من كان إليه منتهاها؛ فالهدايا على قدر مُهديها.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 691.
(2) الاستثناء المتّصل: ما كان المستثنى فيه بعضًا من المستثنى منه، كقولهم: قامَ الرّجالُ إلّا زيدًا، فزيد بعض القوم، يُنظر: ناظر الجيش، تمهيد القواعد: 5/ 2123.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 201.
(4) يحيى بن سلّام، تفسير يحيى بن سلّام: 1/ 161.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 507.
(6) وهو الأصل في معانيها، المبرّد، المقتضب: 1/ 44.

سرُّ إيثار لفظِ الرُّبوبيَّةِ:

في الرّبوبيَّة إشعارٌ لرسولهِ بالطُّمأنينةِ والاستقرارِ، وإطماعٌ له بالعطاء المدرار

عبَّرَ بلفظِ الرُّبوبيَّةِ ﴿رَّبِّكَ﴾ دونَ الألوهيَّةِ؛ لما يشتملُ عليهِ لفظُ الرَّبِّ من النَّظرِ في مصالحِ العبادِ، وتدبيرِ أحوالِهم؛ فهو أطمعُ لهُ، ولإشعارهِ ﷺ بالطُّمأنينةِ والاستقرارِ؛ فإنَّ الَّذي خلقهُ، وربّاهُ في أحسنِ صورةٍ هو الَّذي سيحفظُ لهُ وحْيَهُ وقرآنَهُ من المحوِ والزّوالِ رحمةً منهُ، ورعايةً، وفضلًا.

سرُّ إضافة لفظِ الرُّبوبيَّةِ إلى ضميرِ الخطابِ:

رحمةً مِنه وإحسانًا إليكَ، أوجدك ومَنَّ عليك

في إضافتهِ لفظَ الرُّبوبيَّةِ إلى ضميرِ الخطابِ في قولهِ تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ تشريف، وقد رامَ النَّظم الكريم أن يوصلَ رسالةً مُتضمِّنةً أو: مضمونُها أنَّ الرَّحمةَ آتيةٌ ممَّن أحسنَ إليكَ بإيجادكَ وتربيتكَ، وأنَّه لم يقطعْ إحسانهُ عنكَ[1].

دلالة موقع جملةِ ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ﴾ ممّا قبلها:

لولا رحمتهُ لمنع الرّسولَ الأكرم، فضلَ إبقاءِ القرآنِ والوحي

أردفَ جملةَ الاستثناءِ بقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ تعليلًا للاستثناءِ؛ فإنَّ رحمةَ اللهِ تعالى "منعتْ تعلُّقَ المشيئةِ بإذهابِ الَّذي أوحينا إليكَ؛ لأنَّ فضلَهُ كانَ عليكَ كبيرًا، فلا يحرمكَ فضلَ الَّذي أوحاهُ إليكَ"[2].

دلالة التَّوكيدِ بالأداة ﴿إِنَّ﴾، واسميّةِ الجملة:

القرآنُ معجزةٌ خالدةٌ، وفضله به لا حدود له

التأكيد بـ ﴿إِنَّ﴾، واسميّةِ الجملة في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ دالٌّ على توكيدِ فضلهِ سبحانه في نزولِ القرآنِ على رسولهِ، وأنَّه معجزتهُ الكبرى؛ لأنَّ المشركينَ ظنّوا أنَّ المعجزاتِ الحسّيَّةَ منقضيةٌ بانقضاءِ زمانِها كمعجزةِ عيسى، أمّا معجزتهُ ﷺ فإنَّها باقيةٌ خالدةٌ[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 507.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 202.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4449.

سرُّ الإضافةِ إلى الضَّميرِ العائدِ على الرَّبِّ:

أهمّيّة التّعريف والبيان، في قصد تشريفِ سيّد ولد عدنان

تعريفُ الفضلِ بإضافتهِ إلى الضَّميرِ العائدِ عليهِ سبحانه في قوله: ﴿فَضْلَهُۥ﴾ تعريفٌ وبيانٌ لرفيعِ قدره وعظيمِ شرفه ﷺ لِما لهُ من المنزلةِ عندَ مولاهُ.

سرُّ التَّعبيرِ بفعلِ الكينونةِ الماضي (كان):

توكيدُ الفضل، زيادةً على توكيدها

السِّرُّ في التَّعبيرِ بفعلِ الكينونةِ بصيغةِ الماضي في قولهِ تعالى: ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ توكيدُ جملةِ الفضلِ؛ لدلالة فعل الكينونة على رسوخِ الصِّفةِ وثبوتِها، والمعنى: ثبوت فضله[1] سبحانه لنبيِّه ﷺ.

دلالة حرفِ الجرِّ (على) في السّياق:

بيان علوّ الحقِّ سبحانهُ وسُموّه، بدلالة حرف المعنى على ذلك

التَّعبيرُ بحرفِ الاستعلاءِ في قولهِ تعالى: ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾، دالٌّ على علوِّ المتفضِّلِ وسموِّهِ، وهو الحقُّ سبحانه على المتفضَّلِ عليهِ، وهو الرَّسولُ ﷺ.

فائدة التعبير بالخطاب في ﴿عَلَيْكَ﴾:

بيان أنّ في إبقاءِ القرآنِ، فضلًا وتكرمة لرسول الإسلام

وفي إضافةِ حرفِ الجرِّ (على) إلى ضميرِ الخطابِ ﴿عَلَيْكَ﴾ تمييزٌ للرَّسولِ ﷺ فإنَّ فضْلَ الحفظ في المصاحف والصُّدور مخصوص به ﷺ فالكلام مسوقٌ لبيانِ فضله[2].

نكتة تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿عَلَيْكَ﴾، على خبر ﴿كَانَ﴾:

الإلماح إلى أنّ الرّسول ﷺ، ذو منزلة خاصّة

قدَّمَ شبهَ الجملةِ ﴿عَلَيْكَ﴾، في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾، من بابِ التّخصيص، والتّفرُّد[3]؛ عنايةً بمنزلةِ الرَّسولِ ﷺ وفضلهِ سبحانه عليهِ؛ ومئنَّةٌ ذلكَ أنَّه أكَّدهُ بـ﴿إِنَّ﴾ الدّاخلةِ على الجملة الاسميّة و﴿كَانَ﴾ الدّالَّة على الاستمرارِ والثّبوت[4].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 423.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 423، والقونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/ 583.

(3) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/ 368.

(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4449.

الغرض من تنكيرِ لفظِ ﴿كَبِيرًا﴾:

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿كَبِيرًا﴾ بصيغةِ التَّنكيرِ دلالتهُ على العمومِ والفيضِ والتَّعدُّدِ؛ فإنَّ فضلَهُ عليكَ جزيلٌ لكثرته، جليلٌ لعظيم خطرِه[1]، بالغٌ الكِبر[2]، ممّا لا يُعدُّ ولا يُحصى، "باصطفائهِ إيّاكَ لرسالتهِ، وإنزالهِ عليكَ كتابه، وسائر نعمه عليك الَّتي لا تُحصى"[3]، وعن "ابن عباس: يريد: حيث جعلتُكَ سيِّدَ ولد آدم، وختمتُ بك النَّبيّين، وأعطيتُكَ المقام المحمود"[4]. "فلمّا كان كذلك لا جرم؛ أنعم عليك أيضًا بإبقاء العلم والقرآن عليك"[5].

أفضال الله على الـرّسـول ﷺ كثيرة ومتنوّعة

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 272.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 423.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 7/ 546، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 483.
(4) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 126.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 406.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»